اتفاق وافتراق القوى السياسيّة على الدور الأميركي في العراق

حميد الكفائي

الموقف العراقي الرسمي للقوى السياسية جميعها من بقاء القوات كان متذبذبا، فرغم أن كل الكتل، باستثناء واحدة هي كتلة الأحرار، كانت ترغب في بقاء القوات الأمريكية لفترة أخرى، لأنها تدرك أن هناك مصلحة ما، وطنية أو حزبية، في هذا البقاء، إلا أنها لم تكن مستعدة لأن تتبنى هذا الموقف رسميا لأسباب سياسية واضحة، باستثناء التحالف الكردستاني الذي كان منسجما وواضحا بتأييده للتمديد.

الآن وقد "اتفقت" الكتل السياسية على عدم التمديد وعدم منح الحصانة للمدربين، وكل منها له أسبابه السياسية طبعا، وهذا الاتفاق هو أمر جيد دون شك، ولكن، هل كان فعلا نتيجة لاقتناع هذه الكتل بأنه في مصلحة العراق؟ أم أنه موقف اضطراري أملته الظروف السياسية الآنية عليها وليس المصلحة الوطنية العليا ومستقبل العراق؟

الجميع يدرك أن العراق لا يزال ضعيفا أمام التهديدات الخارجية، بل وحتى الداخلية، فهناك ميليشيات أكثر تنظيما وتماسكا من أجهزة الجيش والشرطة التي لم تتمكن في السابق من إحكام سيطرتها على مناطق تسيطر عليها تلك الميليشيات. والجميع يعلم أيضا أن الطريقة التي شُكلت بها القوات المسلحة والجيش وقوات الحماية لم تكن علمية ولا مهنية بل حصلت حسب اعتبارات سياسية وأخرى بعيدة جدا عن المهنية وهذا هو سبب ضعفها رغم كثرة عددها، وستبقى ضعيفة حتى لو تضاعف عددها في المستقبل، ما لم تُفعَّل الأساليب المهنية في التدريب والقيادة وطرق العمل. نعم يفترض أن العراق ليس بحاجة إلى قوات أجنبية بعد أن تجاوز عدد منتسبي الأمن والجيش والشرطة وحماية المنشآت وحمايات المسؤولين، صغارا وكبارا، المليون شخص، لكن المشكلة تكمن في عدم تماسك هذه الأجهزة وعملها ضد بعضها البعض أحيانا وعدم وجود أجهزة مخابرات واستخبارات وطنية متماسكة موحدة يمكن أن تجمع المعلومات الحقيقية المجردة من الأهواء والمصالح السياسية والشخصية وتحللها بشكل علمي وتستفيد منها على المستوى الوطني وفي كل المناطق والمؤسسات في الوقت نفسه.

التهديدات الخارجية للعراق جدية وقائمة وعلنية ونحن نرى الانتهاكات التركية والإيرانية المستمرة للحدود العراقية دون اعتبار لحرمة هذه الحدود أو للسيادة العراقية، ومن المحتمل أن تكون آبار العراق النفطية الحدودية في خطر أيضا لأنه ليس هناك ما يمنع أيا من الدول المجاورة من التمدد والاستيلاء على مناطق غنية بالنفط كما حصل قبل عامين لبئر الفكة الحدودي. لذلك يجب تعزيز وتشديد الحماية على كل المناطق الحدودية التي يمكن أن تستقطب أطماع الآخرين.

النظام الديمقراطي الحالي هو الآخر ضعيف بسبب التناحرات السياسية ومحاولة كل طرف الاستئثار بما يمتلك من السلطة وإقصاء الآخر أو تهميشه أو إضعافه وهي حالة منافية تماما للأعراف الديمقراطية وقيم التمدن وسوف تقضي على ما تبقى من الديمقراطية واحتمالات التقدم في العراق إن استمرت. الاغتيالات وأعمال القتل العشوائي هي الأخرى تخيم على المشهد السياسي وتجعل الجميع يخشى مما يخبئه المستقبل لهم، خصوصا مع عدم قدرة الأجهزة الأمنية على الكشف عن الجناة الحقيقيين ومن يقف وراءهم.

ما العمل إذن في ضوء هذه التحديات وهي كبيرة جدا وتحدق بالعراق كبلد، وبالقوى السياسية، مجتمعة ومنفردة؟ هناك حاجة ماسة وملحة لمراجعة المواقف. فكل من يفكر من القوى السياسية الحالية أن بإمكانه أن يمسك وحده بالسلطة في العراق ويقصي الآخرين عنها هو مخطئ تماما وموقفه هذا مضر بمستقبله السياسي، لأن الأوضاع والتحالفات السياسية متغيرة ومتقلبة في العالم ككل والمنطقة العربية تحديدا، والعراق ليس استثناء، ومن الممكن أن تكون هناك تحولات جذرية سريعة لصالح طرف ضد آخر إن بقيت الأطراف السياسية متنازعة متحاربة مفضلة المكاسب الحزبية والشخصية على بناء دولة عصرية لجميع العراقيين. كذلك فإن الاعتماد على الدعم الأمريكي ليس حلا دائميا للمشكلة السياسية العراقية وإن كان ملحا ومطلوبا في الوقت الحاضر لأسباب كثيرة. الأمريكيون لن يتمكنوا من حل مشاكل العراقيين ولا أعتقد أن لديهم القدرة على ذلك وقد جربهم العراقيون وعرفوا محدودية قدراتهم في إيجاد الحلول، بل وإمكانية ارتكابهم الأخطاء في الوقت نفسه. لكن المطلوب أن نبقيهم حلفاء وأصدقاء لأن هذا في مصلحتنا كبلد نام يتطلع إلى الاستقرار والتقدم ويحتاج إلى دعم الدول الكبرى كالولايات المتحدة التي تمتلك نفوذا واسعا في الكثير من مناطق العالم، خصوصا منطقتنا العربية. بعض القوى السياسية تحاول أن تزرع العداء لأمريكا وهذا بالتأكيد ليس في مصلحة العراق ولا في مصلحة أي طرف من الأطراف العراقية، خصوصا الطرف المروج لهذا العداء، وقد رأينا كيف تورط الزعماء الإيرانيون عندما روجوا لمثل هذا العداء في إيران خلال العقود الثلاثة المنصرمة وأصبح الآن من الصعب عليهم أن يقيموا علاقات طبيعية مع أمريكا التي سموها بـ "الشيطان الأكبر"، أو أي بلد غربي آخر، رغم إدراكهم أن مثل هذه العلاقات ضرورية لبلدهم.

يجب على القوى السياسية العراقية أن تتعلم الدروس، فلا أحد يستطيع الانفراد بالسلطة في المستقبل، ومحاولات إقصاء وتهميش الخصوم والمنافسين ستعود على ممارسيها بالضرر الفادح في نهاية المطاف، فقد مارسها النظام السابق وأصبح مكروها ومعزولا وطنيا وإقليميا ودوليا، فلماذا تكرار أخطاء الفاشلين؟ نعم، السلطة توهم من فيها أنه قوي وباق بينما الآخرون ضعفاء أمامه وتمكن إزالتهم من الطريق، لكن هذه تبقى أوهاما على الحصيف والمخطط الاستراتيجي ألا يصدقها وينجر وراءها. الشعب العراقي الذي عانى طويلا من التسلط وعدم الاستقرار يستحق تعاملا جديدا وصادقا من القوى السياسية الحالية. يجب أن تكون هناك ثوابت يتفق عليها الجميع بينما تبقى مساحات الاختلاف ساحات للتنافس ويكون القرار في نهاية المطاف للشعب العراقي يعبّر عنه في صناديق الاقتراع. ومن المهم أيضا أن تحترم الأطراف السياسية ما تتوصل إليه من اتفاقات بينها بعد الانتخابات، وإلا فإنها في الحقيقة تدعو العراقيين إلى عدم الثقة بكل ما تفعله في المستقبل.

لم يكن إعلان الرئيس أوباما قبل أيام حول إتمام الانسحاب الأمريكي من العراق بنهاية العام الحالي جديدا، فقد أعرب الرجل عنه في حملته الانتخابية، كما إن اتفاقية انسحاب القوات المبرمة عام ٢٠٠٨ واضحة، وقد نصت على أن يغادر آخر جندي أمريكي بحلول نهاية ٢٠١١. إلا أنه مع ذلك فقد عومل هذا الإعلان، من قبل الطرفين، الأمريكي والعراقي، وكأنه موقف جديد ومفاجئ وهنا تكمن الغرابة في الحقيقة. فهذا الاهتمام الأمريكي-العراقي بالإعلان يعني أن كلا الطرفين كانا يتوقعان استمرارا من نوع ما للوجود العسكري الأمريكي في العراق وأن التوقيتات المدونة في الاتفاقية لم تكن نهائية أو جدية بل قابلة للتحرك إلى الأمام وإلى ما لا نهاية.

الورقة الأخيرة من الكتاب الأخضر

إيمان محسن جاسم

وأخيراً رأى العالم كيف انتهى القذافي، الرجل الذي حمل معه أسراراً كثيرة، لكن لم يحمل معه تاريخاً مشرفاً كما حمله عمر المختار وغيره من ثوار ليبيا ضد الاحتلال الإيطالي .

لم تختلف نهاية القذافي عن نهايات الطغاة في دول العالم وعبر مر التاريخ، ولكن هذه النهاية تجعلنا نستنتج بأن الطغاة لم يتعظوا من الذين سبقوهم، ولم يتعلموا الدرس جيداً وأولهم القذافي، الذي طالما كان يكرر في أحاديثه خاصة وفي مؤتمرات القمة العربية بأن الحكام العرب سينالون ما ناله صدام، هذه ليست نبوءة من القذافي بقدر ما إنها حقيقة ومصير ظل يلازم هذا الرجل منذ أن نقلت الفضائيات صور إعدام صدام التي أرعبت الطغاة في أرض العرب وجعلتهم يتحسسون بين الحين والآخر رقابهم التي ستنال ذات المصير في يوم ما.

ظلت هذه الصورة تؤرق القذافي وغيره من الحكام العرب وبالتالي لم يكن أمامه إلا أن يفصح في كل مناسبة عن هواجس تعتريه ومخاوف تسيطر عليه لكنه لم يتعظ من دروس الآخرين وما جرى لهم .

القذافي رجل حكم ليبيا بلا دستور ولا قوانين ولا أنظمة، حكمها بقانون الثوار ولم يكن يدر بخلده أن يكون ويؤسس لدولة رغم موارد ليبيا الكثيرة بالقياس لنفوسها، حكمها بعقلية القبيلة ثم بعقلية العائلة، ثم بعقلية الفرد الذي لخص ليبيا أرضاً وشعباً وتاريخاً في شخصيته.

هذا التكريس والشخصنة وتذويب هوية الدولة الحقيقية في شخص واحد لم يدركه القذافي، لم يسأل نفسه لماذا اعدم صدام ومن قبله شاوسيسكو في رومانيا وغيرهم من طغاة العالم، لم يسأل نفسه هذا السؤال مطلقاً، لأنه كان ينظر إليهم على أنهم قدوة له، بدليل أنه عمل تمثالاً لصدام وهذا ما يؤكد ما قلناه، رغم إنه قضى عقوداً طويلة في خصام علني مع نظام صدام، لكنه يتفق معه في قاسم مشترك واحد هو إنهما طغاة ليس إلا.

ما حصل للقذافي وقصة مقتله وبأية طريقة كانت، لم تكن إلا صناعة قذافية بحتة، هو من سعى إليها، هو من صنعها وهو من أنتظرها وبالتالي لا يمكن أن يوجه اللوم لمجموعة الثوار الذين وجدوا أمامهم القذافي المطلوب رقم واحد للمجتمع الدولي، وجدوه في أنبوب تصريف المياه!!

ربما يقول البعض بأن الخيارات كانت ضيقة أمام القذافي ولم يكن أمامه سوى أن يموت بهذه الطريقة، لكن هنالك أكثر من سيناريو كان ممكناً ومتاحاً أمام العقيد، أهم هذه السيناريوهات هو الاعتراف بسقوط النظام وعدم المكابرة وجر البلد لحرب أطول مما يجب أن تكون، كان يجب أن يقتدي بطغاة آخرين مثل حسني مبارك وبن علي، كانت أمامه أكثر من فرصة لأن ينال محكمة عادلة بإشراف دولي لا محكمة سريعة رغم عدالتها المفروغ منها إلا إنها في كل الأحوال أثارت أحاديث قد تتشعب في المستقبل .

القذافي هو من أراد أن يحاكم من قبل الشعب،هو من مشى للمحكمة الشعبية بنفسه بعد أن رفض المثول أمام المحكمة الدولية التي في كل الأحوال لن تحكمه بالإعدام، مكابرة الرجل ومحاولته أن يلبس من جديد عباءة عمر المختار كانت السبب في نهايته المتوقعة هذه، رجل ظل يحكم ٤٢ سنة بعقلية المراهقة السياسية، ماذا كان ينتظر من شعبه؟ هل كان ينتظر أن يعيدوه لخيمة باب العزيزية ليعيد على مسامعهم النظرية الثالثة وكتابه الأخضر الذي لم يعد أخضرَ بفضل الدماء التي سالت من أبناء الشعب الليبي، أم تراه كان يمهد لأن يؤسس دولة جديدة بعد أن فسل أربعة عقود من أن يبني دولة بمواصفات أفريقيا وليست مواصفات أوربا.

الشعب الليبي هو من كتب الورقة الأخيرة والسطر الأخير من الكتاب الأخضر ، ليغلق وإلى الأبد ملف أسمه القذافي .

على هامش الصراحة

■ إحسان شمران الياسري

إنهم يختبئون فينا

ليس فينا من يجهل مكامن القوة والضعف، والصدق والأمانة والعطف والقسوة وعشرات الصفات والخصال والمزايا والعيوب. بعضها مستقرة فينا! وبعضها نُصدّرها للآخرين، فيما نُعيرهم بعضها، ونستعير منهم. ولستُ هنا لأبحث في أمر شائك من باب التحليل العميق، بل أقيس على حالي وعلى حال من أعرف، ومن أتعامل معهم، وعلى من يرأسوني في العمل أو أرأسهم.. وكلما أمعنت النظر في الأشياء التي أمامي أو بجانبي أو بيدي، وجدت إن أشياء كثيرة نحن ندفعها لآخرين، أو يدفعونها لنا، فنجعلهم يختبئون فينا دون أن نعني.. وهكذا تولد من دواخلنا أو بفعلها أشياء عجيبة.

فأنتَ وأنا صنعنا الطُغاة إذ هتفنا لهم ومجّدنا أفعالهم.. والطاغية قد لا يكون رئيس الجمهورية أو رئيس مجلس قيادة الثورة. بل قد يكون صديقك أو رئيسك في العمل أو نقيب نقابتك أو أم زوجتك! وأنت تصنع المُغني الفاشل عندما تستمع إليه وتهز رأسك طرباً وأنت تقول في سرك (ما هذا الهراء؟.. وما هذا الهرج والمرج)؟. وأنت تصنع المدير الفاشل عندما تهز رأسك موافقاً على كل ما يقوله حتى لو كان مخالفاً للقانون والتعليمات. وأنت تصنع المرأة السيئة عندما تقول لها (عاشت يدك حبيبتي) فيما هي تأخذك للجنون.

والربيع العربي الذي يحدث اليوم في خريفنا الأسود هذا هو إبن شرعي لطغاة نحن صنعناهم وخلعنا عليهم كل الخلع التي جعلتهم لا يصدقون إن ثمة من لا يريدهم. فقبل نحو عام (لا أذكر بالضبط) جلس مع عقيد ليبيا الراحل معمر القذافي عشرات السياسيين والمثقفين العراقيين يستمعون لتوجيهاته ونصائحه في كيفية تحرير العراق من الأمريكان ومن الحكومة التابعة لهم!!

كان بعضهم يهزّ رأسه إفتتانا بمقالة العقيد.. لا أدري ماذا سيفعلون بعد أن أطاح به شعبه؟. والى أي طاغية آخر سيذهبون لاستلام التوجيهات حول مصير العراق؟

إن الطغاة والفاشلين والفاسدين وعديمي الإرادة و(الذوق) يختبئون فينا إذ نحن نتقّبل عن إرادة تمجيدهم والصلاة على قبلتهم.. صحيح إننا لا نستطيع على الدوام أن نقول ما نعتقد بوجه من لا سلطان لنا عليه، فهذه واحدة من حقائق الحياة، ولكن أن نذهب بإرادتنا لتصنيع الفاشلين والفاسدين والطغاة، والسماح لهم بأن يكونوا ويكبروا ويتمددوا فهذه هي القصة موضوع هذهِ الأسطر..

إننا، كما يقول الشاعر سعدي يوسف (أن نبتني بيتاً فنُسجن فيه.. ما ربح الحياة؟!)..

كاريكاتير

■ عادل صبري

عتمة السياسة وفضاءات الثقافة

حسين علي الحمداني

إذا فشلت السياسة في صنع شيء من الإبداع في العراق منذ عام ٢٠٠٣ وحتى يومنا هذا ، فإن الثقافة العراقية تمكنت من أن تصنع حراكاً كبيراً في المجتمع العراقي في السنوات الأخيرة، وأبرزت ما تمكنت من أن تصنعه بأن تجعل المثقف العراقي نقيضاً للسياسي في كل شيء، وهذا إن دل على شيء فإنما يدلل على إن هنالك جيلاً من المثقفين العراقيين استطاع أن يشكل مشهداً ثقافياً بعيداً جداً عن التبعية للمشهد السياسي أو مكملاً له كما اعتدناه في السنوات والعقود الماضية سواء في العراق أو غيره من البلدان العربية .

مشهدان في العراق يمكن لأي متابع دقيق أن يكتشفهما،الأول المشهد: السياسي الغارق في العتمة والباحث دائماً عن أزمات وتوافقات وتسقيط وتسقيط مضاد، حتى باتت ثنائية الأزمة والتوافق السكة التي تسير عليها السياسة في العراق والتي عادة ما تقود للتخندق الضيق جداً والذي لا ينتج سوى مزيد من التراجع في كل شيء .

المشهد الثاني: هو المشهد الثقافي الذي يختلف تماماً عن السياسي،ففي المشهد الثقافي تجد الحراك مستمراً ويتنقل بين المدن العراقية، ما بين واسط ومهرجانها الشعري والبصرة وملتقى الرواية التأسيسي،ثم مهرجان بغداد السينمائي، واستعدادات النجف لأن تكون عاصمة الثقافة مطلع العام المقبل، وصولا لشمال الوطن والعروض المسرحية والسينمائية، واصبوحات الجمعة ، وأمسيات الأربعاء المنتشرة في أغلب مدن العراق ، ومعارض الكتاب التي تنظم في شمال الوطن وجنوبه، بل يتعدى هذا الحراك حدود الوطن لنجد أمسيات ثقافية عراقية في أوربا تشكل بمجملها الحالة الصحية والصحيحة التي وصل إليها المثقف العراقي في الوقت الحاضر، وبالتالي نجد غياب التخندقات الضيقة .

هذا يجعلنا نقول بأن الثقافة في العراق لم تعد في بيت طاعة السياسي، فالمثقف العراقي الآن لا يمثل إلا انتماءه الثقافي وهويته الثقافية ولا يمكن أن يكون جزءاً من أزمة وجزءاً من توافق.

المشهدان،السياسي والثقافي لهما أسبابهما،فالأول تقوده نخب سياسية تسعى دائما لتسقيط الطرف الآخر بأي شكل من الأشكال بموجب مقتضيات اللعبة السياسية ذاتها ، بينما في المشهد الثقافي تكون الصورة مغايرة تماماً، فالقاص والروائي لا يكتمل حضوره إلا بمشاركة الموسيقي والرسام والشاعر والناقد والقارئ الجيد الذي مثل البارومتر الذي يؤكد النجاح .

في المشهد السياسي دائماً هنالك ثمة أزمة ربما تفرضها مسارات السياسة نفسها، وفي المشهد الثقافي هنالك دائماً إبداع هو محصلة جهود طويلة . في المشهد السياسي تتكدس الكاميرات باحثة عن وجه خال من تقاسيم الفرح وتنتظر منه أن يعلن ما يجعل الفضائيات تستعجل كلمة (عاجل) لكي ترتزق من السياسي، بينما نجد في المشهد الثقافي كاميرة واحدة قد تكون كاميرة المثقف نفسه جلبها معه ليوثق لحظة تناست فيها الفضائيات هذا الحدث رغم توجيه أكثر من دعوة لها .

ومع هذا فإن هذا هو الصحيح، فالمثقف العراقي الآن ليس ابناً باراً للسياسي ولا سيفاً مشرعاً بيده كما كانوا يقولون في العهد المباد ،بل أحيان كثيرة يكون المثقف العراقي في خندق بعيد جداً عن خنادق السياسي المتعددة ، لأن المثقف أصلاً حين يتخندق لا يكون مثقفاً بل بوق للسياسي أو تابع له.

نحن الآن نصنع الثقافة بأنفسنا ونمنحها عناويننا نحن بعد أن ظلت عقوداً طويلة تُصنع لنا وتعلب في أوامر وتوجيهات وقوالب أحياناً كثيرة تكون أمام أصغر من مقاسات إبداعنا أو متناقضة معها ولا تخدم سوى السياسي نفسه الذي ظل ينظر للثقافة على إنها مؤسسة من مؤسساته الحزبية أو ممتلكاته الخاصة .

ثقافتنا بخير لأنها تحررت بشكل كبير جداً من المشهد السياسي، وجود مشهد ثقافي غير متأثر بالمشهد السياسي يعني في ما يعنيه بأننا نضع الخطوة الصحيحة بالاتجاه الصحيح، ونمنح الثقافة العراقية ألقها الذي كاد البعض أن يجعلها تفتقده في مرحلة من المراحل .